

المقدمة

الحمد لله القديم بلا غاية والباقي بلا نهاية الذي علا في دنوه ودنا في علوه فلا يحويه زمان ولا يحيط به مكان ولا يؤوده حفظ ما خلق ولم يخلقه على مثال سبق، بل أنشأه ابتداءً وعدله اصطناعاً فأحسن كل شيء خلقه وتمم مشيئته وأوضح حكمته فدل على ألوهيته فسبحانه لا معقب لحكمه ولا دافع لقضائه تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لسلطانه ووسع كل شيء فضله لا يعزب عنه مثقال حبة وهو السميع العليم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده إلهها تقدست أسماؤه، وعظمت الأوه، وعلا عن صفات كل مخلوق، وتنزه عن شبيهه كل مصنوع، فلا تبلغه الأوهام، ولا تحيط به العقول ولا الأفهام، يعصى فيحلم، ويدعى فيسمع، ويقبل التوبة من عبادته ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون.

وأشهد شهادة حق وقول صدق بإخلاص نية وصحة طويلة أن محمد بن عبد الله عبده ونبيه وخالصته وصفيه ابتعثه إلى خلقه بالبينة والهدى ودين الحق قبلغ مآلكته، ونصح لأمته، وجاهد في سبيل الله لا تأخذه في الحق لومة لائم، ولا يصدده عنه زعم زاعم ماضياً على سنته موفياً على قصده حتى أتاه اليقين صلى الله على محمد وعلى آل محمد.

أما بعد..

فالقُدوة الحسنة عنصر هام في كل مجتمع، فمهما كان أفرادُه صالحين فهم في أمس الحاجة لرؤية القدوات، وكما قيل: جالسوا من تنكركم بالله رؤيتهم، كيف لا وقد أمر الله نبيه بالافتداء فقال: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَةٌ} [الأنعام: ٩٠].

وتَشَدَّدَ الحاجة إلى القدوة كلما بَعُدَ الناس عن الالتزام بقيم الإسلام وأحكامه، وتتأكد الحاجة بل تصل إلى درجة الوجوب إذا وُجدت قدواتٌ سيئةٌ فاسدةٌ تُحسِنَ عرضَ باطلها.

إن القدوة - سواءً أكانت حسنةً أو سيئةً - أكثرُ أثرًا وإقناعًا من الكلام النظري مهما كان بليغًا ومؤثرًا، ولعل هذا هو السرُّ في إرسالِ الله رسلاً من البشر عبر التاريخ مع أنه تعالى قادر - وهو الذي لا يعجزه شيء - على أن يلهم الناس شرعه، خاصة أن بشرية الرسل تحلّل بها الجاحدون لرفض الإيمان كما قال تعالى: { وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا } [٩١]

[الإسراء: ٩٤]، لكن الذي قال عن نفسه: {الْأَيْلَهُمْ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: ١٤]، اقتضت حكمته إرسال الرسل من البشر؛ ليكونوا منارات هدى وقدوات حسنةً عبر التاريخ، فهم التطبيق النموذجي لشرع الله في كل عصر، وتطبيقهم حجةً على العباد ودليلٌ على واقعية الشرع.

وأوضح دليل على هذا الأثر ما وقع في يوم الحديبية، ففي صحيح البخاري قال عمر: فلما فرغ من قضية الكتاب - أي: بنود الصلح - قال رسول الله لأصحابه: «قوموا، فانحروا ثم احلقوا»، قال: فوالله، ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة، فنكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك؟ أخرج لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بُدْنِكَ وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدْنَهُ ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يطلق بعضًا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا.

إنَّ هذا التأثيرَ القويَّ والمباشرَ للقدوة يرجع إلى عدة أسباب منها:

أن الإنسان مفطور على حب التقليد، وكثيراً ما يكتسب معارفه وخبراته ومهاراته بالتقليد والمحاكاة، انظر إلى الطفل كيف يحاكي أباه ويتقمص شخصيته؛ لأن التعلم بالرؤية والمشاهدة أسهل وأيسر بل وأسرع، والنفس بطبيعتها تحب الحصول على الشيء بأسهل الطرق وأسرعها ولو كان محرماً، لكن الشرع والعقل يضبطها.

وقوع الإنسان - مهما كان كسولاً أو مقصرًا - أسيراً للقذوة، فيحمله ذلك الإعجاب على التقليد والمحاكاة، وهنا تكمن خطورة الموضوع؛ لأن القذوة إما أن تكون حسنة لها بريقها الذاتي فتتجذب إليها النفوس تلقائياً وتتأثر بها إيجابياً، وإما أن تكون قذوة سيئة زخرفت وزينت بالأصباغ والألوان الخادعة، وسلط عليها الأضواء الإعلامية الباهرة، وأضفي عليها عبارات الثناء والتمجيد الكاذبة لإثارة إعجاب المخدوعين، وحقاً منهم من يقع في حبانلهم وشراكلهم، حتى إذا فحصه عن قرب أدرك أنه كسراب بقية يحسبه الظمان ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، بل تبين له الوجه الحقيقي، فما كان إلا إثارة للغرائز والشهوات وتمجيداً للكفرة والفساق والفجار باسم الفن والأناقة والرقص والغناء، وترويجاً للمنكرات والفواحش والردائل باسم الترويج والسياحة، ومحاربة للفضائل والحياء باسم الحرية والحضارة، وتغييراً من دين الله باسم التأخر والجمود، وتهجيناً لأحكامه باسم الكبت والقسوة، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠]، وتحقيراً لدعائه باسم التطرف والإرهاب. نعم، هذا هو البديل عند غياب أو تغيب القدوات الصالحة الحسنة.

وللأسف فإن دعاء الشر وشياطين الفساد استطاعوا أن يغزونا في عُقر دارنا بهذه القدوات السيئة الفاسدة المفسدة عبر فضائياتهم، وبدأ المخطط - ولما يمضي عليه سنوات - يؤتي أكله الفاسد بمباركة

الشیطان، فُوجد في فتياننا وفتياتنا من یقلّد أعداء الإسلام والساقطين في كل شيء، في مظهرهم وملبسهم، بل حتى في القضايا الجبلیة من أكل وشرب ومشی.

إنّ هذه المظاهر الشاذة لهي دليل قوي على الشعور بالنقص والانهازام النفسي، وصدق ابنُ خلدون في قوله: "المغلوب مولعٌ بتقليد الغالب أبداً في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوانده".

أيها الأحبة، في هذه الأيام وفي هذه الظروف المحيطة بنا ما أوجنا إلى الأسوة الحسنة والقُدوة الصالحة، فهي محطّ آمال العقلاء وغاية أمانتهم؛ لأنها نهج راشد وطريق مستقیم لا اعوجاج فيه ولا التواء.

وإن في طليعة من يجب أخذ الأسوة الحسنة منهم والافتداء بأفعالهم وأقوالهم وكريم شمائلهم رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهم الصفة من خلق الله، المهتدون بهدایة الله، المسارعون إلى فعل الخير والحرص عليه، قال الله تعالى: ﴿لَئِنَّمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَأَخْشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. وقد أمر الله تعالى رسوله الكريم بالافتداء بهم والسير على نهجهم حيث قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْثُهُمْ أَقْتَدَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

أيها المسلمون، إذا كان الحبيب محمد مأموراً بأخذ الأسوة والقُدوة من سلفه رسل الله فنحن أحرى أن نأخذها منه، كما وجهنا إلى ذلك ربّ العزة. وفي هذا التوجيه الرباني دعوة إلى كل ذي عقل رشيد أن يضع نصب عينه أخذ الأسوة والقُدوة من سيد الخلق أجمعين، في أقواله وأفعاله، وفي مناهجه وشمائله وأخلاقه وسلوكياته، فهو المثل الكامل للإنسانية.

وقد سار أصحابه رضوان الله عليهم على نهجه، فلم يحجموا عن

مكرمة أو يقصروا عن شيء من فعل الخير، ويأتي بعد ذلك أخذ الأسوة والقدوة الحسنة من خيار الأمة، وفي طليعتهم أهل القرون المفضلة المشهود لهم بالهداية من التابعين وتابعي التابعين، قال: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

وهكذا في كل زمان يجب أخذ الأسوة الحسنة من أهل الفضل، ومن العلماء العاملين بعلمهم، المخلصين لدينهم، الذين يتقون الله في سرهم وعلانيتهم، الذين يقولون كلمة الحق بدون خوف أو وجل، لا تأخذهم في الله لومة لائم، الذين لا يلحدون في آيات الله، ولا يحرقون الكلم عن مواضعه، الذين لا ينافقون ولا يجاملون. فهؤلاء العلماء ممن هدى الله وشرح صدورهم للإيمان، ففي السير على هدايتهم والافتداء بأفعالهم فلاح وفوز في الدنيا والآخرة.

ولكي ندرك خطورة وأهمية القدوة الحسنة في تاريخ الأمة؛ فلنتأمل هذه القصة:

يروى أن أبا جعفر الأنباري صاحب الإمام أحمد عندما أخبر بحمل الإمام أحمد للمأمون في الأيام الأولى للفتنة؛ عبر الفرات إليه فإذا هو جالس في الخان، فسلم عليه، قال: يا هذا أنت اليوم رأس والناس يقتدون بك، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن بإجابتك خلق من خلق الله، وإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير، ومع هذا فإن الرجل - يعني المأمون - إن لم يقتلك فأنت تموت، ولا يد من الموت فاتق الله ولا تجبهم إلى شيء. فجعل أحمد يبكي ويقول: ما قلت؟ فأعاد عليه فجعل يقول: ما شاء الله، ما شاء الله.

وتمر الأيام عصبية على الإمام أحمد، ويمتنح فيها أشد الامتحان ولم ينس نصيحة الأنباري، فها هو المروزي أحد أصحابه يدخل عليه

أيام المحنة ويقول له: يا أستاذ قال الله تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} [النساء: ٢٩]. فقال أحمد: يا مروزي اخرج، انظر أي شيء ترى!! قال: فخرجت على رغبة دار الخليفة فرأيت خلقاً من الناس لا يحصى عددهم إلا الله والصحف في أيديهم والأقلام والمحابر في أذرعتهم، فقال لهم المروزي: أي شيء تعملون؟ فقالوا: ننظر ما يقول أحمد فنكتبه، قال المروزي: مكانكم. فدخل إلى أحمد بن حنبل فقال له: رأيت قوماً بأيديهم الصحف والأقلام ينتظرون ما تقول فيكتبونه فقال: يا مروزي أضل هؤلاء كلهم!! أقتل نفسي ولا أضل هؤلاء."

فمن أبرز أسباب أهمية القدوة أنها تساعد على تقويم الفرد المسلم دونما توجيه خارجي وهذا بالتالي يساعد على خلق أجيال صالحة لقيادة العالم.

أيها المسلمون، أما الأسوة السيئة التي تَبَيَّنَتْهَا المجتمعات الإسلامية في العصر الحاضر وفي كل مجالات الحياة فهي في الواقع وفي الحقيقة نكسة في الظاهرة الدينية والأخلاقية، يجب أن يترفع عنها المسلم حفاظاً على دينه وإيمانه، وصوناً لأخلاقه، حتى ولو انتشرت هذه الأسوة السيئة بين الناس، وشملت جميع الطبقات والفئات، حيث أصبح العلماء الذين لا يعملون بعلمهم، ولكن يقصدون به المنصب والجاه والسلطان، وأصبح يمثلها أيضاً الوعاظ والمرشدون الذين لا يأتمرون بما يأمرون به، والذين يصفون الدواء للأمراض التي هم بها مصابون، فمخبرهم لا يطابق مظهرهم، فبنست الأسوة والقدوة بهم، قال الله تعالى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَسْوُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [البقرة: ٤٤].

ورد في الأثر الذي رواه أحمد بسند حسن من حديث ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً عليه قال: (من كان مستتاً فليستن بمن قد مات، فإن

الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم).

والحقيقة أن كل مجتمع مهما بلغ من الفضل والاستقامة لا بد له من طائفة تتمثل فيها المثل العليا، تحفظ للمجتمع وجوده المعنوي المتمثل في صلاح عقيدته وحسن أخلاقه وأدب تعامله، على حد قول الله عز وجل: {وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: ١٠٤].

إنهم طائفة تمثل الخيرية في المجتمع، وتحافظ عليها وتحميها.

إن في أرواحها من التوجه، وفي نفوسها من الحيوية ما يجعلهم مجتمعها هو همها الأكبر، فيسعد بها المجتمع، إذ تحفظ عليه توازنه واستقامته، وعناصر استمراره وبقائه.

إنهم فئة من المجتمع مسموعة الصوت، واضحة التأثير، تملأ الفراغ، وتملك من التأثير ما يجعل جادة الحق واضحة، وطريق الصواب بارزة، ومسالك الخير بينة، فتستمر سنة المدافعة بين الحق والباطل.

إنهم {أُولُو أَيْمَانَةٍ يَتَّبِعُونَكَ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْأَرْضِ} [هود: ١١٦]، مشاعل وسرج يصلحون ما أفسد الناس، يدين الله قائمون، وعلى الحق حراس، يدعون من ضل إلى الهدى، ويبصرون من العمى، ويصبرون على الأذى، همهم - أتابهم الله وأعظم أجورهم - إقامة دين الله، وإعلاء كلمته، وإعزاز أوليائه.

إنهم صمام الأمان بإذن الله، وسبب نجاة الأمة من الهلاك.
وهكذا القدوة الصالحة من السلف الصالح عليهم السلام كانوا روحا نابضة،
وقوة متجددة، وصفحة مشرقة لم تزدها الأيام إلا قوة ومضاء ولا
الأحداث إلا تصوعا وإشراقا، فكانوا يبادرون إلى كل خير
ويتنافسون في الاستباق إليه، ويكفيهم فخرا وعزا أنهم - على رغم
ما مروا به من ظروف قاسية - سطورا أروع الأمثلة وأنصعها في
بلوغ الكمال الإنساني، إذ من السابقين المضحيين منهم تكون نواة
لمجتمع رباني نما واتسع فيما بعد بسرعة فائقة حتى عم خيره بقاع
الدنيا بأسرها، ولا تزال آثاره باقية بفضل الله تعالى.

فهذا الذي فعلوه وحققوه ليس ضربا من ضروب الأحلام، أو
الخيال، أو المحال، لا يبل هو مثال واقع محسوس في دنيا الناس
وعلى أرضهم، وسنة سنوها وحازوا سبقها فنالوا أجرها وأجر من
تبعهم فيها.

وأخيرا فلئن كانت حياة هؤلاء الصالحين - رحمهم الله جميعا -
كلها مليئة بالصورة المضيئة المشرقة فإنني لأرجو أن أكون قد وقفت
في عرضي لجانب من هذه الجوانب المشرقة من حياتهم، وذلك
تذكيرا بجهادهم وسبقهم وتوحيها بمنزلتهم وفضلهم.

سائلا الله أن يجزيهم عنا خير الجزاء، وأن يمتن علينا بحسن
الاتباع والافتداء.

تشبهوا إن لم تكونوا مثلهم :::: إن التشبه بالكرام فلاح
وأسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا العمل وأن يتقبله مني ويثيبني
عليه.

رب تقبل عملي ولا تخيب أملِي :::: أصلح أموري كلها قبل حلول الأجل

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب
إليك.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه
أجمعين.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورضوانه

رجب محمود إبراهيم بخيت

* * *

أهمية العدل والقضاء العادل في حياة الناس

ضعف الدين في النفوس، وغاب عنها وازع الإيمان والخوف من الله جل وعلا إلا من رحم الله فساءت الأخلاق وقست القلوب وضافت النفوس، فلم تعد ترى إلا ذاتها أنانية مفرطة، وجشع وطمع وتطلع إلى حقوق الآخرين والاستيلاء عليها بالحيلة والمكر، والخداع والتحايل، أو بالقوة والظلم والغصب.

فكثرت الخصومات وضجت المحاكم والنيابات بالقضايا والنزاعات، وهناك تزداد الحيل ويكثر الزور وتتعدد الأمور وكل خصم يسعى جاهداً للغلبة والانتصار على خصمه وإبطال دعواه بالحق والباطل وتكون المغالية والعناد هو الوقود والدافع الذي يوجب الصراع ويديمه ويطيل القضايا في نزاع غير منتهى، حيث تدفع الأموال ويتنصب المحامون الذين قد يسهموا في تضليل القضاء وإطالة أمد المشكلات.

إن سبب ذلك كله هو ضعف الإيمان أو انعدامه في الخصوم وأحياناً في القضاة وأحياناً في المحامين. إن القاسم المشترك هو نسيان الله جل وعلا، وعدم اليقين في لقائه والوقوف بين يديه للجزاء والحساب إذ لو وجد الخوف من الله واستشعار عظمته واستيقان الحساب يوم الدين لكانت الحالة غير التي نعيشها اليوم.

ذكروا أن أبا بكر الصديق ؓ ولى عمر بن الخطاب ؓ القضاء، فمكث في منصبه سنة لم يترافع إليه اثنان، إذ كل واحد قد علم الحق الذي له والحق الذي عليه فتناصف الناس فيما بينهم بالحق والعدل، يدفعهم إلى ذلك خوفهم من الله واستعدادهم للقائه لا ييغون علواً في الأرض ولا فساداً. فلما انقضى العام جاء عمر ؓ أبا بكر يطلب منه

أن يعفيه من هذا المنصب الذي لا يحتاج إلى متفرغ له لقلّة الخصومات أو انعدامها في زمن الصديق ﷺ.

إن الناس يخطئون وينظيرون وتغرهم الحياة ويخدعهم الشيطان فهم في حاجة ماسة إلى من يذكرهم بربهم وينصحهم ويعظهم، فقد كان القضاة الربانيون طوال تاريخ الإسلام الممتد عبر القرون كانوا يعطون الخصوم ويذكرونهم بالله ويلقّاهم ويرغبونهم في العدل وفيما عند الله، ويحذرونهم من الظلم وسوء عاقبته في الدنيا والآخرة، كل ذلك كان يتم قبل صدور الأحكام، وكان الكثير من المتخاصمين يستيقظ عندهم الإيمان فيتوبون ويعترفون بالحق ويندمون، فيستريحون ويريحون.

فأين نحن اليوم من هذا المنهج السديد الرشيد وأين منه الحكام والقضاة؟ {أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿١﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾} [المطففين: ٤ - ٦].

ألا إن الخوف من الله والإيمان بوعده ووعيده هو طريق النجاح والفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة، خوف الله هو عربون النصر والتمكين وإهلاك الظالمين، قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ لِيْلِيكُمْ ﴿١٣﴾ كَتَبْنَاكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾} [إبراهيم: ١٣ - ١٤].

ولأهمية القضاء العادل في حياة الشعوب عامة والمسلمون منها خاصة كانت فكرة هذا الكتاب الذي يتعرض لأعلام القضاء وأهم المواقف في حياة القضاة والحكام وعامة المسلمين.

والحقيقة أنه بالعدل قامت السماوات والأرض؛ فالعدل أساس

الملك والحكم. قال الله: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحديد: ٢٥].

وإن الحضارات الإنسانية لا تبلغ أوج عزها، ولا ترقى إلى عز مجدها إلا حين يعلو العدل تاجها، ويتلأأ به مفرقها. تيسطه على القريب والبعيد، والقوي والضعيف، والغني والفقير، والكبير والصغير. والعدل جاءت به جميع الشرائع، ورضيته العقول الحكيمة، وتعلقت به الفطر السوية. وتباهى به ملوك الأمم وقادتها، وعظماؤها وساستها، ومدحوا به.

لقد دلت الأدلة الشرعية وسنن الله في الأولين والآخرين أن العدل دعامة بقاء الأمم، والدول، وبه تمتد الأمن، وتعلو أبنية العز والمجد، ويكون النصر والتمكين.

حسن العدل وحبه مستقر في الفطر، فكل نفس تنتشرح لمظاهر العدل مادام بمعزل عن هوى يغلبها في قضية خاصة تخصها.

القسط والعدل هو غاية الرسالات السماوية كلها:

بالعدل قامت السماوات والأرض، وللظلم يهتز عرش الرحمن. العدل مفتاح الحق، وجامع الكلمة، ومؤلف القلوب.

إذا قام في البلاد عمر، وإذا ارتفع عن الديار دمّر. إن الدول لتدوم مع الكفر مادامت عادلة، ولا يقوم مع الظلم حق ولا يدوم به حكم.

العدل في حقيقته تمكين صاحب الحق لياخذ حقه. في أجواء العدل يكون الناس في الحق سواء لا تمايز بينهم ولا تفاضل، رجاؤه، وبالعدل

يهون أمر القوي وينقطع طمعه ﴿لَا تَطْلُمُونَ وَلَا تَظْلَمُونَ﴾ {البقرة: ٢٧٩}.

وإن أمة الإسلام هي أمة الحق والعدل، والخير والوسط، نصيها ربها قوامه على الأمم في الدنيا، شاهدة عليهم في الآخرة، خير أمة أخرجت للناس، يهدون بالحق وبه يعدلون، يتواصون بالحق والصبر، ويتنافسون في ميادين الخير والبر، ويتسابقون إلى موجبات الرحمة والأجر.

أمة أمرها ربها بإقامة العدل في كتابه أمراً محكماً وحثماً لازمياً: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ {النساء: ٥٨}.

﴿تَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ {النساء: ١٣٥}.

لا أعدل ولا أتم ولا أصدق ولا أوفى من عدل شريعة الله، فهي مبنية على المصالح الخالصة أو الراجحة، بعيدة عن أهواء الأمم وعوائد الضلال، لا تعبأ بالأنانية والهوى، ولا بتقاليد الفساد. إنها لمصالح النوع البشري كله ليس لقبيلة أو بلد أو جنس.

﴿فَلِذَلِكَ فَادَعُ وَاَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ {الشورى: ١٥}.

إن الإسلام صدقٌ كله، خيره وحكمه عدلٌ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ {الأنعام: ١١٥}.

عدل الإسلام يسع الأصدقاء والأعداء، والأقرباء والغرباء،

والأقوياء والضعفاء، المرؤوسين والرؤساء. عدل الإسلام ينظم كل ميادين الحياة ومراقفها ودروبها وشؤونها. في الدولة والقضاء، والراعي والرعية، والأولاد والأهلين. عدلٌ في حق الله. وعدل في حقوق العباد في الأبدان والأموال، والأقوال والأعمال. عدلٌ في العطاء والمنع، والأكل والشرب. يُحق الحق ويمنع البغي في الأرض وفي البشر: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»^(١).

وروي في الحديث الآخر: «ما من أحد يكون على شيء من أمور هذه الأمة فلم يعدل فيهم إلا كبه الله في النار»^(٢).

وإن من أولى ما يجب العدل فيه من الحق حق الله سبحانه في توحيدهِ وعبادته، وإخلاص الدين له كما أمر وشرع خضوعًا وتذللًا، ورضًا بحكمه وقدره، وإيمانًا بأسمانه وصفاته. وأظلم الظلم الشرك بالله عز وجل، وأعظم الذنب أن تجعل لله نذًا وهو خالقك.

ثم العدل في حقوق العباد تُؤدى كاملة موقورة، ماليةً أو بدنية، قوليةً أو عملية. يؤدي كل والٍ ما عليه مما تحت ولايته في ولاية الإمامة الكبرى ثم نواب الإمام في القضاء والأعمال في كل ناحية أو مرفق.

في الحديث الصحيح: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن - وكلتا يديه يمين - الذين يعدلون في حكمهم وفي أهلهم وما ولوا»^(٣).

وإن ولاة أمور المسلمين حق عليهم أن يقيموا العدل في الناس.

(١) رواه البخاري: رقم (٨٩٣، ١٨٢٩).

(٢) أخرجه الحاكم.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٢٧).

وقد جاء في مآثور الحكم والسياسات: لا دولة إلا برجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل.

حكم كله عدل ورحمة في خفض الجناح ولين الجانب، وقوة الحق، عدلٌ ومساواة تكون فيه المسؤوليات والولايات والأعمال والمهمات تكليفيًا قبل أن تكون تشريفيًا، وتبعات لا شهوات، ومغارم لا مغانم، وجهادًا لا إخلادًا، وتضحيةً لا تحليةً، وميدانًا لا ديوانًا، وأعمالًا لا أقوالًا، وإيثارًا لا استنثارًا. إنصافٌ للمظلوم، ونصرة للمهضوم، وقهرٌ للغشوم، وردعٌ للظلم، رفع المظالم عن كواهل المقروحة أكبادهم، ورد الاعتبار لمن أذلهم البيغي اللئيم، لا تأخذهم في الحق لومة لائم، ولا تعويق واهم، وإن حدًا يقام في الله خير من أن يمطروا أربعين صباحًا.

وفي مثل هذا صح الخبر عنه أنه قال: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجلٌ رحيمٌ رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال»^(١).

أما نزاهة القضاء ونقاء ضمائر القضاة فحسبك به من عدل وقسط، صاحب الحق في جو القضاء العادل يشعر بالثقة والأمان، في أروقة المحاكم وفي دواوين القضاء، مطمئنٌ إلى عدالة القضية ونزاهة الحكم وشرف سرانير الحكام. والمتهم بريء حتى تثبت إدانته، ولأن يخطئ الحاكم في العفو خيرٌ من أن يخطئ في العقوبة، هذا تعرفه دنيا الحضارات ودين أهل الإسلام. القاضي العادل يواسي الناس بلحظه ولفظه، وفي وجهه ومجلسه، لا يطمع شريف في حيفه، ولا يبأس ضعيف من عدله، لا يميل مع هوى، ولا يتأثر بود،

(١) أخرجه البخاري، (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

ولا يفعل مع بعض. لا تتبدل التعاملات عنده مجاراةً لسهرة أو نسوة، ولا لقب، ولا لقب، ولا لضعف، أو ضعف، يزن بالقسطاس، وبالعدل يقضي. يدني الضعيف حتى يشند قلبه وينطلق لسانه، ويتعاهد الغريب حتى يأخذ حقه، وما ضاع حق غريب إلا من ترويعه وعدم الرفق به.

جاء في الخبر عنه: «إن الله مع القاضي ما لم يجر فإذا جار تحلى الله عنه ولزمه الشيطان»^(١).

هذا هو العدل العالمي الذي جاء به محمد ﷺ منذ أكثر من أربعة عشر قرناً عدلٌ يتم فيه ضبط النفس والتحكم في المشاعر. إنه القمة العليا والمرتقى الصعب الذي لا يبلغه إلا من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً، وبدينه دستوراً وحكماً. إنه عدل محمد، مكيالٌ واحدٌ وميزانٌ واحدٌ.

إن أمماً الآن في أرض الله، مثل أمريكا وروسيا، آتاه الله بسطة في القوة والسيطرة فما أقامت عدلاً، ولا حفظت حقاً، ويل لهم وما يطففون، إذا اكتالوا لأنفسهم يستوفون، وإذا كالوا لغيرهم أو وزنهم يخسرون. ولكن هدي محمد ﷺ يأبى إلا الحق:

{وَقُلْ ءَامَنُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ}

[الشورى: ١٥].

إن الأمة لا تصل إلى هذا القدر من السمو ونصب ميزان العدل إلا حينما تكون قائمةً بالقسط لله خالصةً مخالصةً، بلباس التقوى: {أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة: ٨].

(١) حسن: أخرجه الترمذي (١٣٣٠).

والفئة الباغية إذا فاءت إلى أمر الله ودخلت في الطاعة فإن حقها في العدل محفوظ: {فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الحجرات: ٩].

وكما يكون العدل في الأعمال والأموال فهو مطلوب في الأقوال والألفاظ:

{وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ} [الانعام: ١٥٢]. ولعل العدل في الأقوال أدق وأشق. وصاحب اللسان العدل يعلم أن الله يحب الكلام بعلم وعدل، ويكره الكلام بجهل وظلم:

{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ} [الأعراف: ٣٣].

لقد أعلن النبي ﷺ حكمه على كلمة قالها شاعر حال كفره حين قال عليه الصلاة والسلام: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل»^(١).

ثم هاهو صاحبه عثمان بن مظعون ﷺ يسمع البيت كاملاً؛ يترسم النهج في نفسه في التقويم والعدل فيحق الحق ويقول القسط، فقال في شطره الأول صدقت، ولما قال الشطر الثاني: (وكل نعيم لا محالة زائل) قال: كذبت، نعيم الجنة ليس بزائل. فلم يكن كذب الشاعر في الشطر الثاني بمانع عثمان ﷺ من أن يقر له بالصدق والحق في شطره الأول.

وهذا علي ﷺ يقاتل من خرج عليه، فلما سئل عنهم: أمشركون هم؟ قال: هم من الشرك فروا. قيل: أفمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً. قيل: فما هم يا أمير المؤمنين؟ قال: هم

(١) أخرجه البخاري (٣٨٤١)، ومسلم (٢٢٥٦).

إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم ببغيهم.

ومن لغير هذا العدل من القول غير أبي الحسن عليه السلام وعن ذريته الطيبين الطاهرين؟! وهل بعد هذا الإنصاف من إنصاف؟!

والنووي رحمه الله يقول: وينبغي ذكر فضل أهل الفضل ولا يمنع منه شتان أو عداوة. والعبد إذا رزق العدل وحب القسط علم الحق، ورحم الخلق، واتبع الرسول، واجتنب مسالك الزيغ والبدع، هكذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. إذا ساد العدل حُفظت الحقوق، ونصر المظلوم وولت الهموم، وأدبرت الغموم.

أما حينما يتجافى الناس عن العدل ويقعون في حماة الظلم ينبت فيهم الحقد والقطيعة والفرقة وذهاب الريح.

ومن تجافى عن العدل دخل دائرة الظلم، يأخذ ولا يعطي، ويطلب ولا يبذل، يأخذ الذي يستحق، ويمتنع عما يحق، تغلبه مسالك المناققين:

{ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ } [آل عمران: ١٥٤]، { وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ } (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ لُغُوبٌ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعِينَ } [النور: ٤٨، ٤٩].

إن الظلم وسلب الحقوق وإهدار الكرامات مبعث الشقاء ومثار الفتن. إن قومًا يفسو فيهم الظلم والتظالم، وينحسر عنهم الحق والعدل إما أن ينقرضوا بفساد، وإما أن يتسلط عليهم جيروت الأمم يسومونهم خسفًا، ويستبدون بهم عسفًا، فيذوقون من مرارة العبودية والاستذلال ما هو أشد من مرارة الانقراض والزوال. إن الظلم خراب العمران، وخراب العمران خراب الأمم والدول.

وأحق الناس بالعدل أبناؤك. فمن ابتغى بر أبنائه وبناته يحبونه في حياته ويترحمون عليه بعد مماته وتصفو قلوبهم فيما بينهم فليتق الله وليقم العدل فيما بينهم، يساوي بينهم في العطية والمعاملة والنظرة والابتسام. وليتق الله أولئك الذين يحرمون بعض المستحقين من الذرية في عطية أو وصية فذلك حرام وجور وظلم، والوصية به وصية ظلم وجنْف، مخالفة للعدل والحق لا يجوز نفاذها، فتلك أفعال شنيعة، وظلم مهلك، تقوم به الخصومات، وتثور به الأحقاد، وتقع به المظالم، وتتقطع به الأرحام.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن أباه أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني نحت ابنك هذا غلاماً كان لي. فقال رسول الله: «أفعلت هذا بولدك كلهم؟» قال: لا. قال: «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم». قال: فرجع أبي فردّ تلك الصدقة ^(١).

والإمام العادل سابع سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. والعدل في المعاملات الزوجية فرضٌ وحقٌ واجبٌ في النفقة والكسوة والمعاملة والعشرة كما يفعل الكرماء من نوي العقل والدين والمروءة والكمال. تطعمها مما تطعم، وتكسوها مما تكسي.

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: «من كانت عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط» وفي رواية: «وشقه مائل».

أيها الإخوة، حينما تنتشر النفوس العدل فيكون سجية لها فإنه يقودها إلى محاسن الأخلاق ومكارم المروءات، عدل في السلوك كله، وسط بين الإفراط والتفريط، جود وسخاء من غير سرف ولا

(١) البخاري: (٢٥٨٦)، ومسلم (١٦٢٣).

تَقْتِير، وشجاعة وقوة من غير جبن ولا تهور، وحلم وأناة من غير غضب ماحق أو مهانة مردية. وكل تعامل فَقَدَ العدل فهو ضرر وإضرار، وفساد وإفساد: {وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} [الشعراء: ١٨٣].

القضاء في اللغة:

أصل القضاء قضاي؛ لأنه من قضيت، إلا أن الياء لما جاءت بعد الألف الزائدة قلبت همزة، وأهل الحجاز يقولون: القاضي القاطع للأمور المحكم لها.

قال ابن منظور (م سنة ٧١١ هـ): القضاء الحكم، والجمع الأقضية، والقضية مثله، والجمع القضايا، وقضى عليه يقضي قضاء وقضية - الأخيرة مصدر كأولى - والاسم القضية فقط. واستقضى فلان: جعل قاضيا يقضي بين الناس، وقضى الأمير قاضيا كما تقول أمر أميراً. والقضايا الأحكام، واحدتها قضية. ورجل قضى: سريع القضاء أي الحكم.

وقال الزهري: القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه، كل ما أحكم عمله أو تم، أو ختم، أو أدى أداء، وأوجب، أو أعلم، أو أنفذ، أو أمضى فقد قضى.. إلخ (١).

وفي تاج العروس شرح القاموس للزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) قضى عليه يقضي قضيا - بالفتح - واستقضاه السلطان: طلبه للقضاء، والمقاضة مفاعلة من القضاء بمعنى: الفصل والحكم، وقاضاه رافعه إلى القاضي، وعلى مال صالحه عليه. وتقاضيته حقي فقضاني أي

(١) لسان العرب، فصل اتفاق حرف الواو والياء (٤٧ / ٢٠) الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق.

طالبته فأعطاني، أو تجازيته فجازانيه. واقتضيت ما لي عليه أي: أخذته وقبضته، وقضى الرجل ساد القضاة وفاقهم، والقضيان كعثمان بمعنى القضاء لغة عامية (١).

وفي المصباح المنير للفيومي (٢) المتوفى سنة (٧٧٠ هـ) استقضيته: طلبت قضاءه. ومما تقدم يظهر أن لفظ القضاء يأتي على معنيين (٣).

١ - الصفة الحكمية التي توجب لموصوفها نفوذ حكمه الشرعي في حدود اختصاصه أي الولاية والخطبة والمنصب، كما في قولهم: ولي القضاء: أي حصلت له الصفة المذكورة.

٢ - أن القضاء اسم للحكم في الواقعة، كما في قولهم: قضى القاضي بكذا أي: حكم وفصل.

ففي قولهم: قضاء القاضي حق أو باطل أي حكمه فالمقصود المعنى الثاني. وفي قولهم: استقضى السلطان فلانا: أي جعله قاضيا يقضي بين الناس يكون المقصود المعنى الأول، أي المنصب والولاية، أو الخطبة في لغة أهل المغرب، يقول الشيخ أبو الحسن النباهي المولود سنة (٧١٣ هـ) في كتابه (تاريخ قضاة الأندلس): وخطبة القضاء في نفسها عند الكافة من أسنى الخطط، أي من أعظم الولايات والمناصب شأنًا.

القضاء في القرآن:

(١) تاج العروس، فصل القاف من باب الواو والياء (١٠ / ٢٩٦ - ٢٩٧).

(٢) (١٦٦ / ٣).

(٣) وقد أشار إلى ذلك - إمام المالكية في عصره - أبو عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي المعروف بالخطاب (٩٠٢ - ٩٥٤) في شرحه على مختصر خليل. (٦ / ٨٦).

لم يرد لفظ القضاء في الكتاب العزيز وإنما وردت مشتقاته في مواضع مختلفة ومعان متعددة (١) منها: -

١ - الحكم، قال تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} ﴿٦٥﴾ [النساء: ٦٥].

٢ - الحتم واللزوم، ومن هذا قوله تعالى: {فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ} [سبا: ١٤]، الآية أي: حتمناه عليه وألزمناه به.

٣ - الأمر، ومن وروده بهذا المعنى قوله تعالى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا لِيَّاهُ} [الإسراء: ٢٣]، الآية والمعنى: أن الله تعالى أمر أمر إيجاب، وشرع ووصى بعدم عبادة غيره. وهذا من القضاء الشرعي الديني إذ لو كان قضاء كونيا لما عبد غيره تعالى.

٤ - الإنهاء والإبلاغ، كما في قوله تعالى: {وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ} [الإسراء: ٤]، الآية. وقوله تعالى: {وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْحِحِينَ} ﴿٦٦﴾ [الحجر: ٦٦].

(٢) أي: أنهينا إليه ذلك وأبلغناه إياه لأن الخبر ينتهي إلى من يبلغه.

٥ - ويسأتي بمعنى البيان، قال الله تعالى: {وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ} [طه: ١١٤]، الآية. أي يبين لك بيانه كقوله في سورة القيامة: {لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ} ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانصُرْهُ وَتَقْرَأْهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾} [القيامة: ١٦ - ١٩]، أي: ثم علينا أن نقرأه.

(١) انظر: مختار الصحاح ص ٥٤٠ - ٥٤١ مواهب الجليل (٦ / ٨٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥ / ٣٨٥).

٦ - الخلق والصنع والتقدير، ومنه قوله تعالى: {فَفَضَّنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ} [فصلت: ١٢]، الآية. أي صنعهن وخلقهن ومنه القضاء والقدر.

٧ - الفراغ من الشيء والانتهاء منه، ومنه قوله تعالى: {قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ} [يوسف: ٤١]، أي: فرغ منه وانتهى.

٨ - والقضاء بمعنى العمل، قال تعالى: {فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ} [طه: ٧٢]، الآية. أي: اصنع ما أنت صانع واعمل ما أنت عامل. قال أبو ذؤيب الهذلي:

وعليهما مسودتان قضاهما :: داود أو صنع السوايغ تبع
الصنع الحاذق بالعمل، وتبع من ملوك حمير كانت تنسب إليه
الدروع التبعية.

٩ - ويأتي القضاء في القرآن بمعنى القتل والهلاك، ومنه قوله تعالى: {تَوَكَّرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ} [القصص: ١٥]، الآية، أي قتله، وقوله: {فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ} [الأحزاب: ٢٣]، أي: هلك، وأصل النحب النذر واستعير للموت لأنه كندر لازم في رقبة كل حيوان.

١٠ - بلسوغ الشيء ونيلسه: ومنه قوله: {فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مَتَهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا} [الأحزاب: ٣٧]، الآية، أي: نال منها حاجته.

١١ - ويأتي بمعنى المضي، كما في قوله تعالى: {ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ} [يونس: ٧١]، أي: امضوا ما في أنفسكم ولا تؤخروه، ويمثل لذلك - أيضا - بقوله تعالى: {فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ} [طه: ٧٢]، أي امض ما أنت ممضيه.

١٢ - ويكون بمعنى الإرادة كقوله تعالى: {إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [مريم: ٣٥].

١٣ - ويكون بمعنى العهد، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرَ﴾ [القصص: ٤٤]، مما تقدم يظهر أن هذه المعاني يمكن أن يتصف بها القضاء فيكون اللفظ من قبيل المشترك المعنوي، فكلها ترجع إلى إتمام الشيء أو الفراغ منه قولاً أو فعلاً أي: إمضاؤه وإحكامه، وبيان ذلك:

- أن القضاء بمعنى الحكم في الواقعة بتقدير شيء أو تقريره وإثباته أو منعه ونفيه بما يفصل المنازعات وينهي الخصومات
- ولا بد في حقيقة القضاء من الإلزام بالحكم.
- يأمر به القاضي إذ القضاء أمر بالمعروف ونهي عن المنكر.
- وينهيه إلى المحكوم عليه، ويبلغه إياه مشافهة.
- بلفظ صريح ينطق به في مجلس الحكم ويبين بيانه أي: يقرأه.
- بأسلوب محكم إحكاماً، ومتقن اتقاناً يوضح فيه الأسباب والحيثيات والمستند في الحكم.
- وبهذا يكون الحكم قد انتهى وفرغ منه، لأن القاضي ينهي الأمر ويفرغ منه.
- وهذا كله عمل من القاضي، يبذل جهده، واستفراغ وسعه في بحث المسألة.
- واستقصاء المشكلة للوصول إلى الحق، ووضعها في نصابه لتنفيذه.
- وذلك برد الحقوق إلى أصحابها، ورد المظالم إلى أهلها؛ ذلك لأن الإلزام هو تنفيذ القول على المحكوم عليه رضي أو أبى، إذ لا خير في حق لا نفاذ له.

وبهذا يكون صاحب الحق قد بلغ مقصوده ونال غايته وحقق مطلبه.

- فيكون الحكم ماضيا لا يتعرض له القاضي اللاحق حسب القاعدة الفقهية (لا يحق لقاض لاحق النظر في حكم سابق). وهذه خاصية من خصوصيات الحكم القضائي. وهي حيلولته دون إثارة النزاع المحكوم فيه مرة أخرى أمام القضاء بين نفس الخصوم، وهذه الخاصية تسمى حجبية الأحكام.

القضاء في السنة:

من ذلك قوله ﷺ: «أقض فإن اجتهدت فأصبت فلك عشرة أجور، فإن اجتهدت فأخطأت فلك أجر واحد»^(١)، وقوله ﷺ: «إني أقضي- بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه وحي»^(٢)، وقوله ﷺ لمعاذ بن جبل حينما أراد أن يبعثه قاضيا: «كيف تقضي إذا عرض لك قضاء»، وقوله ﷺ للخصمين اللذين ترافعا إليه: «والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله»^(٣).

ومن تحليل هذه النصوص، وتفسيرها نتوصل إلى الحقائق

الآتية:

أولا - أنه لا يجوز التحاكم في كل المنازعات والقضايا إلا إلى شريعة الإسلام {فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} [النساء: ٥٩] الآية،

(١) صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن الترمذي، سنن النسائي، سنن أبي داود، سنن ابن ماجه، مسند أحمد بن حنبل.

(٢) صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن الترمذي، سنن النسائي، سنن أبو داود، سنن ابن ماجه، مسند أحمد بن حنبل.

(٣) صحيح البخاري الشروط (٢٥٧٥)، صحيح مسلم - الحدود (١٦٩٨)، سنن الترمذي الحدود (١٤٣٣)، سنن النسائي آداب القضاة (٥٤١١)، سنن أبو داود - الحدود (٤٤٤٥)، سنن ابن ماجه - الحدود (٢٥٤٩)، مسند أحمد بن حنبل (١١٥/٤)، موطأ مالك - الحدود (١٥٥٦)، سنن الدارمي - الحدود (٢٣١٧).

أي فردوه إلى كتاب الله، فإن لم تجدوه في كتاب الله فإلى سنة رسول الله، فإن لم تجدوه فإلى الاجتهاد، كما في حديث معاذ ؓ حينما بعثه النبي ﷺ واليا وقاضيا لليمن. فالقرآن هو الأصل الذي ينبغي الرجوع إليه في الأحكام، وبعده سنة رسول الله، ثم ما ينول إليهما من إجماع أو قياس.

وهذه هي القاعدة الأولى التي أقرتها الشريعة الإسلامية في التنظيم القضائي في الإسلام، وما سواها فهو باطل وطاغوت **لَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ**، ويريد الشيطان أن يضاهم ضللاً بعيداً ﴿٦٠﴾ [النساء: ٦٠]، ولقد سار كبار المجتهدين على هذا الأساس في فهم الشريعة الإسلامية، ومقاصدها السامية، واستدلوا بنصوص الكتاب، والسنة، وإجماع العلماء في اجتهاداتهم، وتنزيل النوازل والقضايا عليها، ولما كانت النصوص متناهية، والحوادث متجددة، استدلوا بالقياس فيما ليس فيه نص، وقاموا بالتخريج على القواعد العامة المستفادة من مجموع النصوص في جميع الأحوال، وغير ذلك من الأدلة التي لا تخرج في حقيقتها، ولا تتعارض مع جوهر الشريعة الإسلامية ونصوصها، ومقاصدها التي تدل عليها التعليقات المنصوصة.

كل حركة اجتهادية، أو تقنينية من أي مجتهد أو مقنن في أي عصر أو زمان يجب أن لا تخرج عن دائرة الكتاب والسنة، وأن لا تعارض نصاً من نصوصها، أو أصلاً من أصولها، وإلا كان اجتهاداً فاسداً، وعملاً مردوداً باطلاً.

ثانياً: أن التحاكم أمر مرتبط بالإيمان بما أنزل الله، وهو أمر كما يشمل الخصوم يشمل الحكام والقضاة أيضاً **وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ**

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } [المائدة: ٤٤]، و{هُمُ الْفٰسِقُونَ} [المائدة: ٤٧]، فليس في الإسلام قضاء ديني يخضع لأحكام الشريعة، وقضاء آخر مدني أو زمني يخضع لأحكام وضعية مخالفة، كما هو عند أصحاب الديانات الأخرى، وقلدهم في ذلك بعض أبناء هذا الزمن ممن ينتسبون للإسلام، بل كل القضاء في كافة الأمور والأحوال يجب أن يستند إلى الحكم الشرعي المبلغ من عند الله على لسان رسوله محمد بن عبد الله وأن الاحتكام إلى خلافه مناف لعقيدة الإيمان، بل قد يكون مخرجا لصاحبه عن دائرة الإسلام، إذ لا يتفق مع صحة الإيمان أن يرى مؤمن أن ما فكر فيه بشر مثله أحكم وأصلح مما قضى به رب العالمين {أَفَحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةُ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِتُونَ} [المائدة: ٥٠].

تطور القضاء:

وكان الرسول ﷺ في دولة المدينة يتولى بنفسه القضاء بين الناس، فلم يكن للمسلمين قاض سواه، يصدر عنه التشريع، ثم يشرف على تنفيذه، فكان يجمع بين التشريع والتنفيذ والقضاء.

وباتساع الدولة عهد الرسول ﷺ إلى بعض الصحابة بالقضاء، فبعث علياً كرم الله وجهه إلى اليمن للقضاء بين الناس، وبعث إليها أيضاً معاذ بن جبل ؓ. وولى عتاب بن أسيد أمر مكة وقضاءها بعد فتحها.

وسار الخلفاء الراشدون على هذا المنهج، فتولى عمر القضاء في عهد أبي بكر فظل سنتين لا يأتيه متخاصمان، لما اشتهر عنه من الحزم والشدّة. وتم في عهد عمر بأمره فصل القضاء عن الولاية الإدارية، وعين القضاة في أجزاء الدولة الإسلامية في المدينة ومكة

والبصرة والكوفة ومصر (١).

فكان عمر هو أول من وضع أساس السلطة القضائية المتميزة، كما كان أول من وضع الدواوين كما عرفنا، وأول من وضع دستور القضاء في رسالته المشهورة إلى أبي موسى الأشعري (٢)، وأول من استحدث نظام السجون، وكان الحبس في الماضي هو ملازمة المتهم من قبل المدعي أو غيره في منزل أو مسجد، وكان قضاء القضاة المستقلين عن الخليفة محصوراً في المنازعات المدنية المالية. أما الجنايات الموجبة للقصاص أو الحدود فبقيت في يد الخليفة، وولاية الأقاليم نوي الولاية العامة. وأما ولاية الإمارة الخاصة، فلهم فقط حق استيفاء الحدود المتعلقة بحقوق الله تعالى المحضة كحد الزنى جلدًا أو رجماً، أو المتعلقة بحقوق الأشخاص إن طلب طالب منهم ذلك.

وكان عثمان ؓ أول من اتخذ داراً للقضاء، بعد أن كان القضاء في المسجد.

وكان للقضاة أجور من بيت مال المسلمين منذ عهد عمر مقابل تفرغهم للقضاء.

ويتم إصدار الحكم باجتهاد القاضي وفراسته بالاعتماد على مصادر التشريع الأربعة: وهي القرآن والسنة والإجماع والقياس.

ثم تطور القضاء في عهد الأمويين والعباسيين باستقرار الدولة، فتحدت سلطات القاضي واختصاصاته وتنوع القضاء، وكان القضاة مستقلين في أعمالهم غالباً، وبدأ تسجيل أحكام القضاء في بدء العهد الأموي، واستحدثت في عهد العباسيين منصب قاضي القضاة الذي

(١) القضاء في الإسلام - لعارف النكدي: ص ٢٩.

(٢) انظر أعلام الموقعين - لابن قيم: ١/٨٥ وما بعدها، الأحكام السلطانية - للماوردي: ص ٦٨.

كان أول من تولاه أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة، وكان بمثابة وزير العدل يعين القضاة، ويعزلهم، ويراقب أعمالهم وأحكامهم، وظهر أيضاً قضاة المذاهب، فوجد في كل إقليم قاضٍ مذهبي، ففي العراق يعمل بالمذهب الحنفي، وفي الشام والمغرب على وفق المذهب المالكي، وفي مصر على وفق مذهب الشافعي.

واتسع سلطان القاضي تدريجياً، فأصبح ينظر بالإضافة إلى المنازعات المدنية في أمور إدارية أخرى كالأوقاف وتنصيب الأوصياء. وقد يجمع القاضي بين القضاء والشرطة والمظالم والحسبة ودار الضرب وبيت المال.

وكان نظام التحكيم معمولاً به بجانب القضاء. وانفصل قضاء المظالم وولاية الحسبة عن القضاء.

إلا أن القضاء العادي كان أسبق نشأة من غيره عندما تولاه الرسول ﷺ في المدينة وهو يفترض وجود اعتداء على حق شخصي وقيام خصومة بين شخصين. ثم ظهر نظام الحسبة في زمن المهدي للنظر في الاعتداءات الواقعة على المصالح العامة التي تمس أمن الجماعة وإن لم يوجد فيها مدعٍ شخصي لحماية حق خاص به. ثم وجد قضاء المظالم لحماية الحقوق والحريات من جور الولاة والحكام واستبداد الأقوياء حينما توسعت الدولة وضعف الوازع الديني وامتدت أطماع القواد إلى أموال الرعية. ومن أجل إقرار العدالة وإحقاق الحق لا بد من توافر الأسس التالية للقضاء في الإسلام:

أولاً - اعتماده على العقيدة والأخلاق: لتربية الضمير والوجدان، وتهذيب النفس، وإعداد الوازع الديني والخلقي المهيمن على سير

الدعوى. وهو مطلوب في اختيار القاضي، وعند رفع الدعوى، وفي معاملة الخصوم، وفي إصدار الأحكام وتنفيذها، وفي الإثبات الشرعي والتزام أحكام الشريعة ونحوها.

ثانياً - ضرورته في كل دولة: القضاء أمر لازم لكل دولة، كما اتضح من ممارسة الرسول ﷺ له، ومتابعة الخلفاء سنته واهتمامهم بتنظيمه. فهو إذن يحتل مركزاً مهماً في الدولة، ويعد أحد سلطاتها الضرورية لوجودها وبقائها: «العدل أساس الملك» بل ويستمد قوته من الدولة في التخاصم وإصدار الأحكام، واستيفاء الحقوق.

استقلال السلطة القضائية والفصل بين السلطات:

كان القضاء في عهد الرسول وخلافة أبي بكر وجزء من خلافة عمر يقوم به الولاة الإداريون، ثم أمر عمر بفصل أعمال القضاة عن أعمال الولاة، فعين القضاة في المدينة وسائر المدن الإسلامية، وجعل سلطة القضاء تابعة له مباشرة. وبه تحقق فصل السلطة القضائية عن بقية سلطات الدولة^(١).

المساواة أمام القضاء:

ولا يعرف الإسلام في أحكامه وقضائه ومحاكمه التفرقة بين مسلم وغير مسلم، فالكل أمام الحق والعدل سواء، ولا محاباة لمسلم على حساب غير المسلم في أي مظهر أو وضع من مظاهر القضاء وأوضاعه.

والدليل القاطع على هذا: ما نزل في القرآن الكريم في شأن

(١) ا. د. وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته الشامل للأدلة الشرعية والآراء المذهبية وأهم النظريات الفقهية وتحقيق الأحاديث النبوية وتخريجها، دار الفكر - سورية - دمشق، ٨، ٣٥٢/

يهودي أراد المنافقون أن يلصقوا به تهمة سرقة ارتكبها بعضهم، وهي أن طعمة ابن أبيرق من بني ظفر، سرق درعا من جبار له في جراب دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه، وخبأها عند زيد بن السمين من اليهود، فالتمسوا الدرع عند طعمة، فلم يجدوها وحلف بالله ما أخذها، فساروا في أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودي، فأخذوها، فقال: دفعها إلي طعمة، - وكان من المنافقين - وشهد له أي لليهودي ناس من اليهود بذلك، ولكن طعمة أنكر ذلك، فقالت بنو ظفر: انطلقوا بنا إلى رسول الله، فسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا إن لم تفعل هلك واقتضح ويرى اليهودي، فهم النبي ﷺ أن يفعل، وأن يعاقب اليهودي، فنزلت آيات تسع في هذه الحادثة، وأما طعمة فهرب إلى مكة وارتد، وقد سقط عليه حائط في سرقة، فمات.

هذه الآيات من سورة النساء هي قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ حَصِيمًا ١٠٥} وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ١٠٦} وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَالُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ١٠٧} يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٨} هَتَأْتُمُهُمْ تَوْلَاءً حَدَّثْتُمْ عَنْهُمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ١٠٩} وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ عَفُورًا رَحِيمًا ١١٠} وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١١١} وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ١١٢} وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتِ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ١١٣} وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ١١٤} [النساء: ١٠٥ - ١١٣].

وتشتمل هذه الآيات على موضوعات أربعة: أولها تقرير مبدأ الحق والعدل المطلق، لأن العدل لا يتجزأ، ولا ينحاز القاضي المؤمن الحر النزيه إلى أحد الخصمين، حتى ولو كان متفقاً معه في الدين، أو قريباً أو أباً أو ابناً أو زوجاً، وفي ثنايا تقرير مبدأ العدل هذا عتاب للنبي ﷺ على ما هم عليه وتصحيح لموقفه، وتأييب ما على قبول ما رفع إليه في أمر بني أبيرق بسرعة دون تثبيت. وهذا يقتضي طلب الاستغفار منه على ما هم عليه، وتحذيره من الجدل أو الدفاع عن القوم من بني أبيرق الذين يخونون أنفسهم بالمعاصي. والله لا يخفى عليه شيء من نواياهم وتأميرهم وتبويتهم ما لا يرضى الله من القول الباطل، واتهام الأبرياء لرفع التهمة عنهم.

والموضوع الثاني: تنديد وتوبيخ للذين يدافعون عن غيرهم بالباطل وهم أقارب طعمة، فإذا جادلوا عن المتهم بغير حق في الدنيا، فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة، ومن يجراً أن يكون يوم القيامة محامياً وكيلاً أمام الله الذي يعلم الحقائق ولا تنطلي عليه الحيل والأكاذيب.

والموضوع الثالث: ترغيب وترهيب: ترغيب المسيء أو الظالم بالعدول عن إساءته وطلب المغفرة من الله على تورطه بالخطايا والذنوب، فإن وبال الذم أو الإثم على نفسه، وترهيب من محاولة إصاق التهمة بالأبرياء، فذلك أعظم البيهتان (أي الكذب) وأوضح الإثم والمعصية.

والموضوع الرابع: بيان واضح لعصمة النبي ﷺ من الوقوع في الخطأ القولي والعملي فضلاً من الله ورحمة، ومنع أذى الأشرار الذين يحاولون إضلاله وتليبس الحق بالباطل وإخفاءه عليه، فאלله محبب تأمرهم وراد كيدهم وكاشف حيلهم، والواقع أنهم لا يضررون

إلا أنفسهم، فإن نبي الله معصوم من كل مكروه، أنزل الله عليه القرآن والحكمة: وهي فقه مقاصد الدين وأسراره، وعلمه ما لم يكن يعلم، وفضل الله عليه عظيم جدا، لأنه رسول للناس كافة وخاتم الأنبياء والمرسلين (١).

والعدل هو الغاية من رسالات الله: إن العدل قيمة من القيم الإسلامية العليا. ذلك أن إقامة الحق والعدل هي التي تشيع الطمأنينة، وتنتشر الأمن، وتشد علاقات الأفراد بعضهم ببعض، وتقوي الثقة بين الحاكم والمحكوم، وتنمي الثروة، وتزيد في الرخاء، وتدعم الأوضاع، فلا تتعرض لخلخلة أو اضطراب، ويمضي كل من الحاكم والمحكوم إلى غايته في العمل، والإنتاج، وخدمة البلاد، دون أن يقف في طريقه ما يعطل نشاطه، أو يعوقه عن النهوض. وإنما يتحقق العدل بإيصال كل حق إلى مستحقه

والحكم بمقتضى ما شرع الله من أحكام ويتجنب الهوى بالقسمة بين الناس بالسوية.

وما كانت مهمة رسل الله إلا القيام بهذا الأمر وإنفاذه.

وما كانت وظيفة أتباع الرسل إلا السير على هذا النهج كي تبقى النبوة تمد الناس بظلمة الظليل: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [الحديد: ٢٥].

ومن أهم الوسائل التي يتحقق بها القسط وتحفظ الحقوق وتصان الدماء والأعراض والأموال هي إقامة النظام القضائي الذي فرضه الإسلام وجعله جزءا من تعاليمه وركيزة من ركائزه التي لا يبد منها ولا غنى عنها.

(١) التفسير الوسيط للزحيلي، ١/ ٣٧٧.

اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الغضب والرضا، ونسألك القصد في الفقر والغنى، ونسألك الرضا بعد القضاء، ونسألك برد العيش بعد الموت ونسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين استجب اللهم يا رب العالمين.

* * *